

الوحدة العربية... والاشتراكية^(١)

سؤال (١): ما علاقة الوحدة العربية بالاشتراكية؟ وهل الاشتراكية شيء اساسي

في النضال العربي؟

- ان القضية العربية يجب ان تؤخذ ككل لا يتجزأ، وان تعالج على هذا الاساس . واعتقد ان بعض الذين يحصرون اهتمامهم بالوحدة، هم مجزئون للقضية العربية . ان نظرة حزب البعث الى قضيتنا القومية قامت على اساس انها قضية واحدة، وان حلها هو رهن بتحقيق انقلاب عربي، انقلاب بالمعنى العميق، لا ينحصر بالسياسة، وانما يتناول الفكر والروح والتربية الاجتماعية والاوضاع الاقتصادية . والسياسة في نظرنا هي التعبير عن موقفنا الانقلابي في جميع هذه الاوضاع والحالات . . . واذا كانت السياسة لا تكفي دوماً للتعبير الصادق عن هذه النواحي، الا انها بلا شك اقوى وسيلة لهذا التعبير . فعندما نقول ان الحل الصحيح لقضيتنا القومية، هو الحل الانقلابي البعثي، فان ذلك يعني بصورة بسيطة ان الحالة التي وصل اليها العرب منذ قرون عديدة، وليس فقط منذ بدء الاستعمار الغربي، وان الاوضاع التي نشأت في بلادنا منذ مئات السنين الى اليوم، احدثت خللاً وتشويهاً عميقاً جداً في بنيان الامة، وتباعداً بين شعور الامة العربية وبين الحياة نفسها فدم تعدد أمتنا - بالتالي - تستجيب لدواعي الحياة الاستجابة السليمة . . . فالانقلاب هو

(١) حديث في النادي الثقافي ببيروت في شباط ١٩٥٦

هذه المحاولة لاعادة الاستجابة السليمة الشفافة بين الامة وبين متطلبات الحياة .
ويظهر بصراحة من هذا التعريف البسيط ان السياسة بمفهومها العادي لايمكن ان
تنفذ الى اعماق المشكلة واعماق المرض، ولا يمكن ان تغير شيئاً أساسياً في
حياتنا، فما هو المطلوب اذن؟ هو تحريك الامة العربية تحريكاً عميقاً عنيفاً في
الروح .

ولكي لانقع في الالتباس المحتمل الوقوع كأن يظن بأن مشكلتنا الاقتصادية،
مشكلة توزيع الثروة، هي المشكلة الوحيدة أو انها هي المشكلة الحقيقية، نقول:
انها مشكلة خطيرة تحتل المكان الاول في تفكيرنا ونضالنا، ولكننا دوماً نعتبر
المشكلة الحقيقية - كما سبق مني القول - هي ان تبعث الروح في امتنا، هي ان يعود
العربي والامة بمجموعها الى هذا الموقف الايجابي الفاعل الارادي السليم ايضاً . .
موقف السيطرة على القدر، سيطرة العربي على قدره، معرفة الامة لمبررات وجودها،
لغاية وجودها، والقدرة على تحقيق هذه الغاية . فالأوضاع الفاسدة وخاصة الأوضاع
الاقتصادية، هي بمثابة المانع والحائل والمعيق لادراك الامة لذاتها ولوعيتها حقيقة
رسالتها . ان التعبير العملي عن هذه النظرية الانقلابية هو النضال بأوسع معانيه،
لتربية الامة من جديد لكي تعرف كيف تواجه الصعوبات، لكي تستخرج قواها
الدفينة وعزيمتها الغافية بالاحتكاك والاصطدام بالمصاعب . .

وهذا النضال - كما قلت - يجب ان يفهم بأوسع معانيه . فهو في آن واحد نضال
مع القوى الخارجية (و القوى الخارجية هي الصهيونية والقوى الاستعمارية) وهو
نضال ضد الأوضاع الفاسدة في داخل الوطن وهذه الأوضاع سواء اكانت ظلماً سياسياً
ام اجتماعياً، استغلالاً ام جهلاً، وضعفاً في الفكر وتعصباً ونقصاً في المحبة
والتسامح . . كل هذه الاوضاع عندما ندعو المواطنين الى محاربتها فليست الغاية
تهديم هذه الأوضاع الفاسدة فقط، وانما الغاية - على الأخص - ان يستعيد الشعب
ادراكه لقيمه الأصيلة ولغاية وجوده الحقيقية بهذا الصراع الجدي . والنضال يكون
ايضاً في نطاق النفس وخاصة بين المناضلين وبين ذواتهم، اذ ليس اخطر من ان
يتجمد المناضلون، وهم مكلفون باحداث هذا الانقلاب في حياة الامة، ان

يتجمدوا على مفاهيم سطحية.. اذ لو انهم تجمدوا فكيف يمكن ان يحركوا الآخرين؟ فالمناضل يجب ان يكون في نضال مستمر مع نفسه ليعمق فكرته ويعيد النظر فيها دوماً فيحذر من ان يخدع نفسه وان يجبن عن المزيد من الجرأة والمزيد من التوغل في طريق فكرته الانقلابية حتى يصل الى الصفاء الخالص والصدق التام..

هذه الاسئلة تأخذ القضية كما قلت من وجهة نظر تجزئية، وهذا ما يجب ان ننتبه اليه محاولين دوماً ان نعيد الى قضيتنا القومية وحدتها، وعلى هذا الاساس اجيب الاخوان الذين سألوا عن سبيل تحقيق الوحدة العربية وعن علاقة ذلك بالاشتراكية وعمما اذا كانت الوحدة تسبق الاشتراكية وعمما اذا كان ثمة علاقة بين الهدفين.. اقول بناء على نظرتنا الموحدة للقضية العربية: لانعتقد ان بالامكان الفصل بين الوحدة العربية والاشتراكية، ان الوحدة العربية أعلى وأعلى في مراتب القيم من الاشتراكية. ولكن مطلب الوحدة العربية يبقى لفظاً مجرداً وألهية، وفي بعض الاحيان خداعاً مؤذياً، اذا لم يوضع في نصابه الحقيقي، اي اذا لم يوضع على الصعيد الشعبي، اذا ما من قوة تستطيع تحقيق الوحدة غير الشعب العربي.

ليست الحكومات وليست الدول الاجنبية وليس السياسيون ولا المفكرون بقادرين على ذلك وإنما الشعب وحده، جماهير الشعب هي التي تستطيع تحقيق هذا المطلب الخطير، فكيف يمكن ان يتحرك الشعب لحمل هذا المطلب الثقيل، وهو رازح تحت هذه الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟

فتوحيدنا اذاً بين الوحدة والاشتراكية هو مثل اعطاء جسم لفكرة الوحدة.

الاشتراكية هي الجسم، والوحدة هي الروح، اذا صح التعبير والتشبيه. فان القوى التي لاحصر لها، المعادية للوحدة العربية، القوى التي تعادىها عن وعي وتصميم (والقوى الاستعمارية والصهيونية من اخطرها) والقوى الداخلية المستعبدة للمصالح والتي تضحي بأعلى المصالح والاماني القومية في سبيل مصلحتها الخاصة، هذه القوى جميعها الواعية في عدائها للوحدة، يضاف اليها كل ما في مجتمعنا من جمود ومن جهل ومن روااسب وعادات كلها تشد الى الوراء، وكلها تجبن عن التجدد وتخشى أي خطوة جديدة فيها تعب وفيها تضحية.. كل هذه الآراء الشتيتة

والعصبيات المختلفة: الطائفية والاقليمية والفكرية التي تجزىء وتقطع بنياننا القومي . . كل هذه الحوائل والعوائق ضد الوحدة، وان لم تكن ارادية واعية، لا بد لنا لكي نقوى على مجابقتها وقهرها من الاعتماد على قوى حية، قوى في مستوى هذه العوائق . . وليس من قوة حقيقية يعتمد عليها غير قوة الشعب . والشعب كما قلت اذا سلمنا بأن عاطفته ايجابية نحو الوحدة، وهذا شيء طبيعي، فماذا تجدي العواطف، اذا بقي هذا الشعب عاجزاً مكبلاً؟ ولكننا اذا حركناه للنضال، في سبيل حياة حرة كريمة، واذا عودناه التمرس بهذا النضال، ثم استطعنا ان نجد ضمن هذا النضال منفذاً للوحدة . . وهذا الامر ميسور وطبيعي جداً - فعندئذ تصبح الوحدة موضوعاً عملياً وتصبح مطلباً واقعياً . لذلك لم يكن حزبنا حزباً اشتراكياً فحسب، ولم تكن الاشتراكية اول صفة له، فهو حزب عربي، حزب بعث عربي، والبعث هو الانقلاب كما تعرفون، وكل مطلب آخر نفهمه ونفهمه للشعب انما هو منبثق من خلال هذه النظرة، نظرة اننا نسعى الى بعث عربي، الى انقلاب عربي . . وفي نضال الحزب لم نغفل هذه الآراء لحظة واحدة، وفي كل قرية وفي كل معمل حيث العمال والفلاحون يناضلون في سبيل حياة أفضل، في انتزاع حقوق مغصوبة لهم . . يردد الجميع بأفواههم ويشعرون بقلوبهم، ويعرفون أن ذلك ليس إلا وسيلة وخطوة نحو هدف أعظم، هو توحيد الوطن العربي . . وهذا التوحيد ليس الهدف النهائي ولكنه بدوره وسيلة لكي تقوم الأمة العربية بمهمتها في الحياة . . وهذا المزج بين الهدفين، شيء اساسي نحرص عليه دوماً، ولكننا نعرف ان التطبيق لا يأتي دوماً صادقاً كل الصدق، متفقاً كل الاتفاق مع الخطة او التصميم الموضوع له . . فأحياناً يرجح مطلب على آخر، وتكون الظروف في بعض الاحيان سبباً في هذا التفاوت بين مطلبين لا يجوز الفصل بينهما ولا الترجيح . . تأتي ظروف مواتية لانتشار وتوسيع النضال الاشتراكي كما تأتي ظروف اخرى مواتية لتوسيع النضال الوجدوي - هذا شيء لا مفر منه اذا بقي في هذه الحدود، اذ أن الواقع يختلف تماماً عن التصميمات النظرية، ولا نستطيع دوماً ان نتحكم في الظروف، بل واجبتنا ان نحسن الاستفادة من كل ظرف على افضل وجه ممكن . . وهناك أخطاء لاتعزى الى الظروف وانما الى

الحركة نفسها، أي ان افرادها أو بعض اعضائها يكون فهمهم لوحدها فهماً ناقصاً سطحياً. فمنهم من يعتقد ان الاشتراكية هي ارجح وافضل وان الوحدة تأتي في الدرجة الثانية، ومنهم من يرى العكس، ولكن الشيء الذي يهمني التنبيه اليه، هو أن نكون حذرين كل الحذر امام من يتذرع تذرعاً ببعض الاهداف أو المطالب أو القيم القومية لاختفاء مصالحه الخاصة. . للدفاع عن مصالح خاصة سواء أكانت هذه المصالح ضخمة ام صغيرة. . فالاجتهادات الفكرية ليست دوماً فكرية، وكثيراً ما تخبيء وراءها المصالح والاهواء الشخصية. او ليس مما يدعش أو يدعوا الى شيء من التساؤل والتشكك أن نرى ذوي المصالح الاقتصادية في الوطن العربي - أكثرهم أو بعضهم - يتحمسون للوحدة العربية تحمساً مشبوهاً، لا يقصد منه أكثر من ضرب الحركة الاشتراكية، ومن القاء الشبهة عليها، واثارة الريب حولها بانها معيقة لتحقيق الوحدة ومبعثرة للجهود ومشتتة للأفكار، وان اوانها لم يحن بعد، وان الوحدة اذا تحققت كفيلة بحل كل هذه الصعوبات؟

ثم لننظر الى هذا الوهم الآخر: هل صحيح انه اذا تحققت الوحدة فالاشتراكية وكل الامور الاخرى تتحقق؟. . ليس هذا صحيحاً ولا مضموناً، وفي التاريخ وحدات قومية تحققت على اساس رجعي اقطاعي تعصي. . على اساس الاستغلال واحتقار الفرد والمواطن والحرية. . فهل نحن نؤمن بالوحدة كصنم أم نؤمن بها على انها وسيلة لتحقيق رسالة الامة؟. . فاذا لم تظهر من الآن ملامح الامة العربية الجديدة التي نريدها انسانية حرة ايجابية. . اذا لم تظهر هذه الملامح منذ الآن - والسياسيون جلهم من طبقة ذوي المصالح المجرمة - فمن يضمن لنا انها سوف تظهر عندما يحقق السياسيون الرجعيون الوحدة؟ أم انهم سينشئون دولة للعبيد مرة اخرى؟ اننا لا نفصل بين اهدافنا البعيدة ونضالنا الحاضر في سبيل تحقيق هذه الاهداف. ان ما نريده لامتنا بعد عشرات السنين يجب ان يظهر ولو بشكل موجز مصغر، يجب ان يظهر منذ الآن في نضالنا، نريد أمة حرة كريمة تؤمن بالانسانية والقيم العليا. . لها رسالة. . رسالة خيرة. فلا يمكن ان نتجاهل هذه القيم اليوم ونرجىء تطبيقها الى حين تحقيق اهدافنا بعد عشرات السنين. . واذا كانت هذه

القيم لم تتجسد في نفوسنا واعمالنا منذ ان بدأنا النضال ووعينا هذه القيم ، فاننا لن نحققها في يوم من الايام في المستقبل . . فالانقلاب العربي ليس هو الذي يتحقق عندما يتسلم حزب انقلابي الحكم في البلاد العربية كلها . . الانقلاب العربي يبدأ وفي نفس اللحظة منذ ان تتكون فكرة الانقلاب في اذهان الطليعة . وكلما زاد عدد افراد هذه الطليعة وجب ان يزداد تجسيد هذه القيم في تفكيرهم وسلوكهم النضالي . . عندها يكون استلام الحكم ثمرة لاختبار طويل طبيعي صادق بين هذه الافكار وبين حياة الشعب ، ولا فرق بين الانقلاب وادوات الانقلاب ، الذين هم المناضلون وهم افراد الشعب . اذا لم يكن المناضلون محققين لقيم الانقلاب منذ البدء ، فمن المستحيل ان نصدق بأنهم سيتغيرون عند استلامهم الحكم ، بل ان السلطة والقوة عرضة للاغراء ومجلبة لضعف النفس بدلاً من رفعها الى مستوى تلك القيم .

سؤال (٢) : كيف يمكن ان نعلل نضال الشعب العربي في المغرب بينما هو يعيش في فقر، وحزب البعث يعتبر الاشتراكية شيئاً أساسياً في النضال العربي ؟ .

- لم اقل بأنه يجب ان يرتفع مستوى الشعب المادي حتى يستطيع النضال . واقع الحوادث وتاريخ حركتنا يدل على ان مستوى الشعب يرتفع نتيجة للنضال ، وكلما ناضل استطاع تحقيق شيء من التحسن في اوضاعه ، وكلما كان النضال محققاً لمستوى اقتصادي اعلى كلما كان اقوى واجدى . ان نضال المغرب لايشذ عن القاعدة بل هو اقوى دليل عليها . نضال اقطار المغرب الثلاثة يتجلى بأكمل صورة في نضال احد هذه الأقطار وهو الجزائر، مع ان الاوضاع في تونس ومراكش كانت احسن بكثير من حيث الحرية ، من حيث الوضع الاقتصادي ، من حيث مستوى السيادة السياسية . . فتونس ومراكش كانتا في مستوى المحميات ، في حين ان الجزائر كانت تحكم حكماً مباشراً ويفنى شعبها ويجلى عن أرضه ويتحمل كل انواع الاضطهاد . . فكان نضال تونس ومراكش شبيهاً بنضال العراق وسورية زمن الانتداب الفرنسي والبريطاني ، لذلك لم يعط هذا النضال كل نتائجه ، وتوقف عند حد وسط من المساومة والمفاوضات كما هو معروف لديكم ، وقبلت تونس في العام

الماضي بعد ثورة سنتين وتضحيات هائلة . قبل زعمائها باتفاقية لاتغير شيئاً اساسياً في الوضع ، وتبقي لفرنسا السيطرة على كل شيء ، وانما سمحت ببعض الاستقلال الذاتي كأن تكون للتونسيين وزارة ومجلس ثم عاد زعماء تونس فحصلوا على تعديل لهذه الاتفاقيات ، وانتزعوا حقوقاً جديدة بفضل نضال الجزائر . كذلك مراكش يقال فيها نفس الشيء . . ففي تونس ومراكش ، الحركة الاستقلالية ليست شعبية بالمعنى الصحيح لان قيادتها ليست شعبية . . الشعب يناضل ويدفع الثمن ، ولكن القيادة هي تلك التي كانت منها طبقة النضال في سورية ولبنان والعراق . . طبقة اقطاعية بورجوازية . وهذه الطبقة تحارب الاستعمار : عين لها على العدو وعين على تجارتها واملاكها ، لذلك لايمكن ان تصل في النضال الى آخره . ويأتي يوم تصبح فيه هذه القيادة التي عرفناها هنا وعرفها الشعب العربي في مراكش وتونس ، تصبح قيادة النضال هذه خائفة من الشعب عندما يزداد نضال الشعب ، اكثر مما هي خائفة من الاستعمار . اما في الجزائر ، فالاستعمار نفسه حل المشكلة ، لانه منذ قرن وربع القرن يعمل على افناء الشعب العربي هناك وعلى حرمانه من ابسط عوامل البقاء لتحويل هذه الأراضي العربية الى ارض فرنسية يستغلها الفرنسيون ويتكاثرون فيها . . ولكن العنصر العربي فيه صمود وفيه حيوية ، وقد اوصله الاستعمار الى حالة يستوي فيها الموت والحياة . هذه هي الحالة الثورية الممتازة : ان العرب في الجزائر يقبلون على الموت لانهم لا يخسرون شيئاً وقد يكسبون كل شيء . اذا خسروا حياة ذليلة ، وان كسبوا فحرية واستقلالاً ووحدة مع مجموع امتهم . والاستعمار الفرنسي لم يبق طبقة ارفع من طبقة ، فكلهم في الفقر وفي الذل سواء . ولذا كانت اهدافهم القومية ومصالحهم الاقتصادية مترابطة كل الترابط ، وكان نضالهم من أجل الحرية والاستقلال نضالاً من أجل اوضاع مادية افضل في وقت واحد ، فكان نضالاً جدياً وشاملاً ، وهذا يدل على ان الوضع المادي هو اساس التحرر ، فحيث لم يصل الوضع المادي الى هذا الحد من الانخفاض - في تونس ومراكش حيث المستوى ارفع - لم يكن النضال شاملاً .

اما في الجزائر فانه نضال شامل ، لانه نضال حياة أو موت ، وخلص المغرب

العربي هو بيد الجزائر، لأنها هي البقعة الثورية الصحيحة التي لا يمكن ان تتراجع عن الثورة مهما حشد الاستعمار من قوى لابادة هذه الثورة. فالشعب هنا اما ان ينال حريته او يفنى ولن يفنى اذ ان استمراره في النضال سيحرك جميع العرب وسيكون الظفر له آخر الامر.

واني اعود لألح على اهمية الأوضاع المادية لأن الشباب المثقف يعيش في وضع هونسيباً مريح، لذلك قد تنشأ عنده اوهام لها نتائج خطيرة عندما يفكر في قضيته القومية - فالأجدي والأجدر بالشباب ان ينزل الى صفوف الشعب بين الحين والآخر، وان يتصل بالفلاحين في القرى وبالعمال وبالطبقة الفقيرة، وان يتعلم منها، لأن في حياتها دروساً كثيرة رائعة، لا يستطيع الشباب ان يتعلموها في المدارس . . . فالأوضاع المادية ليست مادة وانما هي الروح . عندما يصل الانسان الى حالة يصبح معها كأنه شيء وليس بشراً . . . عندما تعوزه أسط الوسائل للبقاء على الحياة في نفسه وللبقاء على الحياة في اسرته، فان نضاله عندئذ في سبيل تغيير هذا الوضع، وفي سبيل رفع مستواه، هو نضال من أجل إرجاع انسانيته . . . فالاكل ليس للاكل، والدواء ليس لتسكين الألم، وانما ليعود الانسان انساناً يمارس مهمته كإنسان، فيجدد بنا أن لانستهين بالوضع المادي، بل نعتبره أهم تعبير عن واقع الانسان . . .

سؤال (٣): كيف يمكن ان تتحقق الوحدة العربية؟ ان الأفكار التي ذكرها الاستاذ تحتاج الى وقت طويل لتحقيق، بينما «اسرائيل» خطر داهم وقريب جداً؟ .
- كنت أعطي بعض الملاحظات العامة عن نظرتنا الى الوحدة ونظرة الآخرين اليها، وعن علاقة الوحدة بالاشتراكية، ولكني لم اتعرض بعد للخطوات العملية، واسارع الى القول بأننا لانذهب الى أن الوحدة العربية ستتم دفعة واحدة، بل إن الطبيعي والمعقول أن تتم على مراحل، ونحن نقول بهذه النظرة، نظرة المراحل، ونعمل بها ولها: فالاتحاد بين قطرين أو ثلاثة هو مرحلة يجب ان تنصبّ عليها كل جهودنا حتى تثمر، وهي بدورها ستسهل الوصول الى مرحلة أعلى، الى توحيد اوسع وأبعد . . . وأعتقد بأن سياسة الحزب في هذه الناحية ليست مجهولة، فالحزب قبل سبع سنوات وافق على مشروع الاتحاد بين سورية والعراق ضمن شروط، وفي السنة

الماضية طرأت ظروف سياسية معروفة جعلت تحقيق هذا المطلب متعذراً الآن . وقال الحزب باتحاد يقوم بين اقطار متحررة كل التحرر من النفوذ الاستعماري ملتقىة في سياستها الخارجية والعربية . . أن يكون بين هذه الأقطار اتحاد أو ما هو قريب من الاتحاد . وهكذا ساهم الحزب في مشروع الميثاق العربي ، الذي كان مقدراً له منذ عام ان يضم مصر وسورية والمملكة العربية السعودية . . وقبل شهر من الزمن وضع في سورية ميثاق قومي بين الاحزاب ، وكان حزبنا يطالب بالاتحاد التام مع مصر ، وقد رفضت ذلك الاحزاب الاخرى بدون استثناء ، وانتهى الجميع الى صيغة ضعيفة قريبة من الميثاق تقول بتوسيع الاتفاقيات بين مصر وسورية والسعودية حتى تشمل الى جانب الناحية العسكرية ، النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية . وفي اليوم الذي يتخلص فيه العراق من أوضاعه الشاذة لايعود شيء أئمن من الاتحاد مع العراق . واعتقد بأن هذا التحول الذي فرضته الظروف - ظروف خارجية لم يكن لنا حيلة فيها - كان لخير القضية ، إذ أنه قرّب بين مصر والاقطار العربية الاخرى ، واختصر الزمن مسافات طويلة . وهذا التفاعل الذي نراه ونلمسه بين مصر التي كانت مغرقة في الانعزالية ، وبين الاقطار العربية الاخرى هو من الحوادث الخطيرة ، التي تدعو الى الاستبشار ، وليس لنا إلا ان نشجع هذا التفاعل بكل قوانا . أما القول بأن خطر اسرائيل لايسمح بالانتظار عشرات السنين فيحتاج الى توضيح .

اننا عندما نقول بأن أهدافنا تتطلب عشرات السنين حتى تتحقق ، فليس يعني ذلك بأننا سنبقى ضعفاء نحرص على التجزئة وعلى كل الاوضاع الراهنة حتى تتحقق جميع الاهداف دفعة واحدة . فالاهداف الانقلابية - كما قلت - بدأ تحقيقها منذ اليوم الاول لوجودها في افكار الافراد ، وهي في تفاعل مستمر مع الشعب ، والشعب يضغط على الاوضاع الرسمية لتستجيب له ، بقدر ما يكون في ضغطه من قوة . انني ما أردت من قولي إن عشرات السنين تنتظرنا ، إلا أن ابين ان أهداف الانقلاب العربي أهداف أصيلة وصعبة وجدية ، تحتاج الى نضال طويل حتى نصل الى ذلك المستوى الجدير بأمتنا ، لان مطلبنا ليس هيناً . . ان مطلبنا ببساطة هو أن تعود الامة العربية للمساهمة من جديد في الحضارة الانسانية . .

أذكر اننا قبيل معركة فلسطين الاولى ، قبيل قرار التقسيم وبعده، وقبيل الحرب في سنة ١٩٤٨ ، عندما كان حزبنا يطالب ويلح في الطلب على الحكومات العربية لكي تعد الاعداد اللازم لمواجهة تلك المعركة، ويؤكد أن مواجهة المعركة في فلسطين تستوجب تحرير الشعب داخل الاقطار العربية لان المستعبد لا يستطيع ان يحارب . . أذكر ان الرسميين في البرلمانات وفي دعاياتهم كانوا يجيبوننا دائماً هكذا: «هل من المعقول ان نفكر في أمور اخرى غير الحرب أمام خطر اكيد داهم كالخطر الصهيوني»؟ وهذه مغالطة شنيعة لأن الحرب غير ممكنة، اذا لم يقم بها الشعب، والشعب لا يقوم بالحرب اذا لم يكن شاعراً بالحياة وحاصلاً على الحد الأدنى من الحياة . . وبعد النكبة تغيرت دعايتهم: «نحن الآن مشغولون بالاعداد لاسترداد ارضنا من العدو» والحجة أو الغرض في كلتا الحالتين هو عدم التعرض لهذه الاوضاع الفاسدة. قبل النكبة ليس هناك وقت والخطر مداهم .

وبعد النكبة ليس هناك وقت للتفكير ايضاً في الحلول الجذرية، وانما يجب أن نعد الوسائل الممكنة لمواجهة الخطر . .

لقد حان الوقت اذن لكي نكشف المغالطة والخداع في هذا المنطق، فبدون نظرة جذرية الى أوضاع الشعب لا تكون هناك مقاومة جدية للخطر الصهيوني . . بدون رفع المستوى الاقتصادي، بدون التوحيد الممكن لبعض الاقطار العربية، لا يكون للدخول في معركة فعلية مع الصهيونية معنى جدي .

فالخطر الصهيوني - فيما اعتقد لن يجد متحمسين ومستعدين لمواجهة مثل هذه الفئة الانقلابية ومثل الجمهور الشعبي الذي يتبعها، لأنه بدأ يدرك معنى الحياة القومية والرابطة القومية . . ونحن - مع علمنا بأن مشكلة بقاء الصهيونية في فلسطين قد لا يحل هذا العام حتى لو وقعت حرب، اذ انها تتطلب تحقيق مستوى أعلى من النضال، من الامكانيات المادية والمعنوية - فاننا لن نتأخر عن خوض المعركة ولو كانت بعد أشهر، فان اعتقادنا راسخ بأن المعركة ان وقعت قريباً أو بعيداً فستكون محررة لفلسطين وحدها، بل للوطن العربي كله، لان الشعب عندما يدخل ساحة النضال لن يكتفي بالقضاء على عدو واحد .

وبهذه المناسبة أقول: إن نظرنا الى الوحدة العربية تجعلنا نهتم بنضال الجزائر مثل اهتمامنا بقضية فلسطين، في حين ان الحكومات - كما تعرفون - تؤجل وتتجاهل هذا النضال العظيم الذي يخوضه الشعب العربي هناك، فتنظر اليه نظرة مادية سطحية جداً، بحجة حل مشاكلنا الداخلية أولاً، مع ان المعركة في الجزائر لا تتطلب غير شهور حتى تنتهي بالظفر فيما لو أمدت بالعون اللازم..

عام ١٩٥٦